المغرب الكبير في مواجهة الهيمنة الإستعمارية و كفاحه من أجل الإستقلال

شاهيد الحسين

المغرب

طرق و وسائل التغلغل و الإستغلال الإستعماري

فرض نظام الحماية

ساهمت مجموعة من العوامل الداخلية و الخارجية في فرض الحماية على المغرب، حيث تميز وضعه السياسي و الإقتصادي بأزمة خانقة و ضعف كبير، و من ذلك : إستبدال باحماد بالحكم منذ وفاة الحسن I – صغر سن المولى عبد العزيز و ضعف شخصيته – اندلاع ثورة الريسوني و ثورة الجيلالي بن دريس الزرهوني الملقب بـ " بوحمارة " – خلع المغاربة للمولى عبد العزيز بعد قبوله لشروط الخزيرات 1906 – تولية المولى عبد الحفيظ 1908 الذي قبل بدوره لهذه الشروط و أخذه لقرض 100 مليون فرنك فرنسي – محاصرة المغاربة للمولى عبد الحفيظ في قصر فرساي مما جعله يطلب الحماية من فرنسا - ↑ الضغوط الترابية على المغرب – إندلاع أزمات مالية خانقة و اللجوء إلى الإقتراض من الخارج – إلغاء نظام الترتيب الذي حرم الخزينة من أموال لمدة عامين – فشل الإصلاحات النقدية بسبب التهريب و الإكتناز – إنتشار موجات الجفاف و الجراد. و نظرا لأهمية المغرب و موقعه الإستراتيجي، ازداد الإهتمام الأوربي به. ففرنسا تحلم باحتلاله لتواجدها في الجزائر و تونس، و إسبانيا تدعي أن لها حقوقا تاريخية منذ احتلالها لسبتة و مليلية، و بريطانيا تنوي احتلاله لتواجدها في جبل طارق، في حين أن إيطاليا تخطط لاحتلاله منذ فشلها في احتلال تونس، و ألمانيا تتشوق إلى احتلاله منذ وحدتها. و قد أدى هذا الإهتمام بالمغرب إلى استنجاد المولى عبد الحفيظ بفرنسا التي أرغمته بعد عدة مفاوضات على توقيع معاهدة فاس/الحماية يوم 30 مارس 1912.

مفهومه

تعني الحماية نظام دولة تحتفظ بمؤسساتها و حكومتها و تدير شؤونها بنفسها، لكن تحت مراقبة دولة أوربية. و تتكون المعاهدة من 9 فصول تنص كلها على تقسيم المغرب إلى 3 مناطق نفوذ مع تعيين الجنرال الفرنسي ليوطي أول مقيم عام و الإحتفاظ بسلطة السلطان الرمزية التي جرد كليا من صلاحياته فيها.

أجهزته

⊙ **في المنطقة الفرنسية :** ثم اعتماد 3 أنواع من المؤسسات، فعلى المستوى المركزي هناك مؤسسة الإقامة، المديريات و مؤسسة القضاء. و على المستوى الإقليمي تم تقسيم المغرب إلى 7 أقاليم : 3 عسكرية في الشمال و 3 مدنية في الوسط ثم قيادة أكادير. أما على المستوى المحلي، فتم تعيين القياد في البوادي و الباشا في المدن.

⊙ **في المنطقة الإسبانية :** يتولى تسييرها المفوض السامي، و فيها 3 إدارات : مركزية يمثلها مناديب عن كل وزارة – جهوية يمثلها مراقب الناحية، و تم فيها تقسيم المغرب إلى 5 مناطق نفوذ – محلية يمثلها المراقب المحلي الذي يستعين بالباشا و القائد.

⊙ **الوضع الدولي لطنجة :** تم تدويل وضع طنجة وفقا لمقررات مؤتمر باريس 1923. و يقوم هذا الوضع الدولي على الإحتفاظ بسلطة السلطان الرمزية. و تضم منطقة طنجة 3 هيئات : المجلس التشريعي، لجنة المراقبة، السلطة التنفيذية و محكمة مختلطة من 7 قضاة.

◤ سرعان ما سيتحول نظام الحماية إلى إدارة مباشرة بعد عزل المقيم العام ليوطي سنة 1925، حيث بدأت فرنسا بتجاوز السلطان بإصدار قوانين دون علمه و ترغمه على التوقيع عليها، بل و تحت التهديد أحيانا.

آلياته

⊙ **تجهيزية** : تشمل الطرق، السكك الحديدية و الموانئ، بهدف تسريع و تسهيل وثيرة الإستغلال و ربط مناطق الإنتاج بمناطق التصدير.

⊙ **مالية** : تشمل الإستثمارات و القروض لمنح امتيازات للمعمرين و إفلاس الفلاح المغربي.

⊙ **إدارية** : تشمل الإقامة العامة و المحافظة العقارية لمراقبة كل ما يجري في البلاد.

⊙ **بشرية** : تتمثل في الإستعباد و الإستمالة، و بالتالي انقسام المجتمع المغربي إلى فئة مستفيدة و أخرى متضررة.

⊙ **عقارية** : تتجلى في الإستيطان الزراعي بغية امتلاك أجود الأراضي و نقل المعمرين من باقي المستعمرات إلى المغرب.

مظاهره و نتائجه

المظاهر

شمل هذا الإستغلال كل القطاعات الإقتصادية المهمة. ففي القطاع الفلاحي، تمت السيطرة على الأراضي الفلاحية بطرق مشروعة و غير مشروعة، و اعتماد الإستيطان الزراعي الرسمي و الخاص. كما تم احتلال أجود الأراضي في السهول و تطبيق المحافظة العقارية ثم ستبدال الزراعة المعيشية بالزراعة التسويقية. و في القطاع الصناعي، هيمن الرأسمال الأجنبي و الشركات الأجنبية و أفلست الصناعة التقليدية الوطنية بفعل الإغراق. و في القطاع التجاري، عانت التجارة الداخلية من المنافسة، و التجارة الخارجية من هيمنة الشركات الأجنبية. أما في قطاع المناجم، فتم احتكار مختلف المناجم و المعادن، و كذا احتكار الإنتاج من طرف الشركات الأجنبية، إلى جانب استغلال الفوسفاط عن طريق OCP.

النتائج

⊙ **اقتصادية** : سيطرة المعمرين على أجود و أوسع الأراضي مقابل حرمان المغاربة منها – ارتباط الحرفيين بالسوق و شراؤهم للمواد الأجنبية مجبرين – انهيار الحرف المحلية و إفلاس الحرفيين بعد ↓ قدرتهم الشرائية – معاناة العمال من ↓ الأجور و ↑ عدد ساعات العمل ثم انتهاك حقوقهم - ↑ الصاروخي للأسعار و الضرائب و توالي الأزمات.

⊙ **إجتماعية** : إتساع دائرة الفقر و انتشار الجوع – تنظيم هجرة واسعة من البوادي نحو المدن – ظهور أحياء هامشية و عشوائية – ظهور طبقة عاملة كادحة و فئة أخرى من العملاء تغتني على حسابها و تخدم مصالح المتروبول – الإهتمام بالتعليم العصري من طرف أبناء الأعيان و اقتصار التعليم التقليدي لباقي أبناء المغاربة.

⊙ **سياسية** : بروز رد فعل مباشر من طرف المغاربة و السلطان تجسد في قيامهم بمقاومة مسلحة و أخرى سياسية.

مراحل الكفاح من أجل الإستقلال و مظاهره

كفاح مسلح

امتد من 1912 إلى 1934، و هو رد فعل طبيعي ضد الإستغلال الإستعماري. و قد اندلع أساسا في المناطق الريفية الجبلية و الأمازيغية، قاده رجال بسطاء و حققوا انتصارات مهمة. و أهم مظاهر هذا الكفاح :

⊙ **في منطقة سوس** : تزعم المقاومة احمد الهيبة و انهزم ضد فرنسا سنة 1912 في معركة سيدي بوعثمان نتيجة ضعف شخصيته و قلة خبرته العسكرية و ضعف الأسلحة ثم تواطؤ القياد.

⊙ **في الأطلس المتوسط** : تزعم المقاومة موحا أوحمو الزياني الذي انتصر على فرنسا سنة 1914 في معركة الهري بفضل صمود و خفة المقاتلين ثم أهمية الجبال.

⊙ **في الشمال الريفي** : تزعم المقاومة عبد الكريم الخطابي الذي انتصر على إسبانيا سنة 1921 في معركة أنوال بفعل اعتماد حرب العصابات و الحصول على غنائم كثيرة.

⊙ **في الجنوب الشرقي** : تزعم المقاومة عسو أوباسلام و انتصر على فرنسا سنة 1933 في معركة بوكافر نتيجة مقتل 10 ظباط في صفوف المستعمر.

◤ مع حلول 1934 تمكنت فرنسا من إجهاض كل هذه المقاومات نظرا لعدم التكافؤ بين القوتين المغربية و الأجنبية و ضعف الأسلحة المستعملة و عدم كفايتها إلى جانب انعدام التنسيق بين المقاومين ثم الثقة الزائدة و الغرور دون القوة الكافية.

نضال سياسي

⊙ **ظروف نشأته** : ظهر نتيجة عدة عوامل، أهمها : توقف المقاومة المسلحة في البوادي 1934 – إصدار الظهير البربري 1930 لتمزيق الوحدة المغربية – توحد المغاربة جميعا و رفضهم لهذا الظهير ثم احتفالهم بعيد العرش كرمز لتلاحم الشعب بالملك و ردا على الظهير – إنشاء مجلة "المغرب" و جريدة "عمل الشعب" لفضح ممارسات الإستعمار – إنشاء حزب "كتلة العمل الوطني" 1934 من طرف علال الفاسي و محمد بلحسن الوزاني، و الذي طالب بعدة إصلاحات أهمها : إلغاء الإدارة المباشرة و تكوين حكومة مغربية – إيقاف الإستيطان الزراعي و إلغاء الرسوم و الضرائب – محاربة الفقر و البطالة قم العمل بـ8 ساعات يوميا إلى جانب إحياء التعليم الإبتدائي و مجانيته.

⊙ **من المطالبة بالإصلاح إلى المطالبة بالإستقلال** : بعد الرفض و الإهمال الذي تلقته مطالب الحركة الوطنية من طرف سلطات الإستعمار، تيقن السلطان محمد بن يوسف و كل المغاربة من أن السبيل إلى الإصلاح هو الإستقلال. و هكذا اتجهت المقاومة السياسية نحو الإستقلال مع مساهمة مجموعة من العوامل في هذا التحول أهمها : إنشاء عدة أحزاب [الإستقلال، الإصلاحات الوطنية] و جرائد [صوت المغرب] و جمعيات [الشروق و الهلالية] – وعود الرئيس الأمريكي روزفلت أثناء زيارته لأنفا 1934 – إنهزام فرنسا المبكر في الحرب ع II - المساهمة العسكرية و البشرية للمغاربة في الحرب - صدور الميثاق الوطني الأطلسي 1941 و إنشاء هيئة الأمم 1945 – نضج الطبقة العاملة و تطور العمل السياسي و النقابي بالمغرب – زيارة السلطان التاريخية لطنجة 1947 و خطابه فيها من أجل الإستقلال .

⊙ **دور ثورة الملك و الشعب في تحقيق الإستقلال** : تمثل ثورة الملك و الشعب أهم مظهر للنضال السياسي الذي ازداد قوة بعد خطاب طنجة، و تلا ذلك مجموعة من الأحداث أهمها : زيارة السلطان لفرنسا 1950 و مطالبته هناك بحق الإستقلال – انطلاق العمل الفدائي 1951 و الذي بلغ أوجه بتنفيذ 119 عملية فدائية – احتجاج المغاربة على اغتيال التونسي فرحات حشاد 1952 – انطلاق ثورة الملك و الشعب 1953 بعد نفي السلطان خارج البلاد – إنشاء جيش التحرير و المقاومة – عودة السلطان من منفاه 1955 و إعلان الاستقلال الرسمي للبلاد 1956.

⊙ **إستكمال الوحدة الترابية** : لقد كان استقلال المغرب ممهدا لإتمام وحدته الترابية، حيث تم استرجاع كل المنطقة الفرنسية و الإسبانية الشمالية 1956 و إلغاء الوضع الدولي لطنجة 1957، ثم استرجاع طرفاية 1985 و سيدي إفني 1969 و كذا استرجاع منطقة الساقية الحمراء 1975 بعد تنظيم المسيرة الخضراء، و إقليم وادي الذهب بعد تخلي موريتانيا عنه. و من الأساليب المعتمدة في هذا ذلك، اعتماد الحوار و التفاهم و كل الطرق السلمية الممكنة كتنظيم المسيرة الخضراء بعض عرض قضية الصحراء على محكمة لاهاي، ثم توقيع المعاهدة الثلاثية بمدريد عن نهاية تصرف إسبانيا في الأقاليم الصحراوية، فضلا عن بيعة سكان وادي الذهب للحسن II بالرباط.

	مظاهر الإستغلال الإستعماري	نتائجه الإقتصادية و السياسية	ظروف النضال من أجل الإستقلال	مظاهره
الجزائر	• ↑ عدد المستوطنين الفرنسيين و الأوربيين. • اعتماد قانون التجنيس. • الهجرة و التهجير. • الإدارة المباشرة. • تجنيد الأهالي إجباريا. • الإستيطان الزراعي. • سياسة الإدماج. • رغبة فرنسا في تحويل الجزائر إلى مقاطعة فرنسا و جزء لا يتجزأ منها.	• سوء أحوال الفلاحين و السكان. • احتلال 20% من الأرض المزروعة. • انتشار الفقر و الملكية الفردية. • زراعة عصرية [الكروم]. • فرض الضرائب. • ظهور حركة الأمير خالد الرافضة للإدماج. • تأسيس جمعية نجم شمال إفريقيا بزعامة مصالي الحاج.	• إنشاء جمعية "العلماء المسلمين الجزائريين" 1931 بزعامة عبد الحميد بن بديس، الرافضة للإدماج و المطالبة باحترام الشخصية الإسلامية الجزائرية. • إصدار النواب الجزائريين لـ"بيان 1943 الذي فضح فضاعة الإستعمار و طالب بالدستور و تقرير المصير. • تبني فرحات عباس لفكرة الإستقلال و تخليه عن فكرة الإدماج. • إنهزام فرنسا في الحرب ع II و في معركة ديان بيان فو 1954 بالفيتنام.	• إنشاء جبهة التحرير الوطني 1951 و عودة المقاومة المسلحة 1954. • إنشاء حكومة جزائرية مؤقتة 1958 و إرغام فرنسا على التفاوض. • أهمية الدعم المغربي و العربي و مساندة الدول الإشتراكية. • التوقيع على معاهدة إيفيان و اعتراف فرنسا باستقلال الجزائر 1962 بعد 132 سنة من الإستعمار و تقديم البلاد لـ 1 مليون شهيد.
تونس	• ↑ عدد المستوطنين الفرنسيين و الأوربيين. • اعتماد قانون التجنيس. • الهجرة و التهجير. • تطبيق نظام الحماية. • الإستيطان الزراعي. • الزراعة التسويقية. • تطبيق مشروع للأشغال العمومية.	• سوء أحوال السكان في البوادي و المدن . • عدم المساواة مع الأجانب في الأجور. • إنشاء "تونس الفتاة" بزعامة عبد العزيز الثعالبي و علي باش حانبة. • فضح الإستعمار من خلال كتاب "تونس الشهيدة" الصادر 1920. • تأسيس "الحزب الدستوري" 1920.	• تأسيس "الحزب الدستوري الجديد" المنبثق عن "الحزب الدستوري" بقيادة الحبيب بورقيبة 1934، الذي اقترح أفكارا جديدة تعتمد العلمانية، الليبرالية و الوطنية في جريدة "العمل التونسي". • إصدار الوطنيين لـ"الميثاق الوطني" 1946 المندد بالحماية التي أصبحت إدارة مباشرة. • تأسيس الزعيم النقابي فرحات حشاد لحزب "الإتحاد العام للشغالين التونسيين" الذي دعا إلى جامعة نقابية لشمال إفريقيا. • انهزام فرنسا في الحرب ع II و احتلال النازية لتونس.	• عودة بورقيبة. • اغتيال الزعيم فرحات حشاد 1952 من طرف عصابة اليد الحمراء. • إرغام فرنسا على التفاوض و على الإعتراف باستقلال تونس 1956 مع تعيين الحبيب بورقيبة أول رئيس للجمهورية التونسية المستقلة .
ليبيا	• الإستيطان الزراعي للأراضي الخصبة و توزيعها على المعمرين. • الهجرة و التهجير. • الإستغلال الصناعي و التجاري.	• إندلاع مقاومة في برقة 1911 بزعامة "الحركة السنوسية" التي قضى عليها الفاشي موسوليني. • إنتشار الفقر و القمع. • تطبيق الفاشية الإيطالية.	• ظهور المجاهد و الفقيد عمر المختار بن فرحات الذي اعتمد "حرب العصابات" و تقنيات المقاومة في الصحراء، لكنه أعدم من طرف الضابط غرازياني 1931 و بالتالي توقف المقاومة المسلحة الليبية. • تأسيس "الحزب الوطني" الذي نادى باستقلال البلاد. • رفض تقسيم ليبيا إلى 3 مناطق نفوذ، فرنسية و إنجليزية و أمريكية. • الإبقاء على مثالح الغرب و كذا إيطاليا في المدن الكبرى.	• صدور قرار الأمم المتحدة 1950 لتسوية المشكل الليبي و إعلان استقلال البلاد 1951 مع تنصيب إدريس السنوسي ملكا عليها. • قيام ثورة "الفاتح من سبتمبر" 1969 بزعامة معمر القدافي الذي أعلن سنة 1977 عن ميلاد "الجماهيرية العربية الليبية الإشتراكية العظمى".